



لا تستطيع أن تعلم حقائق الأشياء إلا عند اختبارها، وفتنة المعادن تخرج خبثها، وتبقي على ثمينها.
ولا تستطيع أن تعلم حقائق الناس إلا في المواطن المختلفة، وأهمها في مواطن البليا والمشكلات.

فطالما ظهر بعضهم بوجه غير الوجه الذي تعرفه به إذا مر به بلاء، وطالما تغيرت الوجوه ونكصت الخطوات على الأعصاب في المحن والشدائد.

فكم من صديق أنكر صديقه عند شدته، وتركه يعاني الآلام رغبة في مصلحة ذاتية أو خوفاً من مضره مظنونة .
وكم من رجل ظنه الناس وقوراً حبيباً إذا به يسقط في مستنقع العورات وموبعة الشهوات عندما عرضت عليه الفتنة.
وكم من أمرىء ظنه الناس عالماً عاملاً، إذا به ينقلب حليفاً لكسبه فليوبي عنق الكلمات ويدنس نفسه بممالة الباطل، فلا يرفع للحق رأية، ولا يقيم للدين قائمة مادام ذلك قد تعارض مع مصالحه الشخصية ومنافعه الدنيوية ومادام كان في قوله الحق له اختبار وفي موقف الصدق عنده شدة وابتلاء!

إن معادن الناس تظهر في الشدائدين، تبين حقيقتها، وتجلّي كامن صفاتها، فقد تعرف إنساناً لفترات طويلة، ولا يبيّن لك منه صفاتـه الحـقة، فإذا مـرـتـ الشـدائـدـ ظـهـرـتـ صـفـاتـهـ وبـانتـ عـلامـاتهـ، فـلـكـأـنـماـ تـكـشـفـ بـعـدـ اـخـفـاءـ وـتـعرـىـ بـعـدـ غـطـاءـ!

والشَّدائد تقرب المؤمنين إلى ربهم، وتباعد المزورين والكاذبين عنه سبحانه.

فالمؤمن يسارع توبة واستغفاراً، وإنابة وإصلاحاً، ورداً للحقوق، وتبتلاً لله سبحانه رجاء تخفيف الشدة وإذهاب الغمة.

والكافر يسارع إلى الدنيا يطلب منها فك الشدة، ويتعلق بالأسباب، وينسى ربه سبحانه، فلا تزيد الشدة إلا نفوراً، قال سبحانه: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حِرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأْنَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ فَنَوْلَبُ عَلَى وَجْهِهِ خَسْرَ الدِّينِ
وَالآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ"

والشَّدائد منقيات، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَفَارِقَ الدِّينَ وَمَا عَلَيْهِ ذَنْبٌ".

والله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً، فيسلط الشَّدائد على المؤمنين لتفتن صفاتهم، وتنقى حقيقتهم، فيذهب الخبث، ويبقى الطيب، فيلقون الله طيبين، ومن وافته منيته من الموحدين قبل أن يتم توبيته، تمت تنقيته قبل دخول الجنة، فيدخلون الجنة بعد التنقية والتصفية فيقال لهم عندئذ: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَّتْمُ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ"

وكما أن الشَّدائد كاشفة لمقدار الخير في الدين، فإنها كاشفة في أمور الدنيا، فالشدة تظهر الصديق الحق، وتبين فضيلة المرء، فكم من مدع لفضيلة إذا جاءت الشَّدائد أسفراً عن وجه جبان قبيح، وأناني خسيس، وكم من كريم قليل الحديث عن نفسه، تراه في الشَّدائد أسدًا هصوراً، ومرؤياً عظيماً، مؤثراً الخير على نفسه وبازلاً للمكرمات حتى لو كان حاله ضيقاً حتى إنني وددت أن لا تكون صدقة إلا بعد شدة واختبار، ولا أخوة إلا بعد عشرة واختيار، حتى لا نسمع بالصدامات النفسية في الأصدقاء والإخوان، تلك التي نسمع عنها كل يوم !

والشَّدائد أيضاً كاشفة لقيمة المرء أمام نفسه، فيعلم من نفسه كم هو صادق مع نفسه ومع ربه، وهل هو مدع لا يلبث أن ينكسر في المشكلات وينقلب على عقبه فيها أم أنه صادق مع نفسه واضح معها، ويعلم قدر ثقته في مبادئه وقيمته، ويعلم مكان الخلل عنده وأماكن الثغرات في شخصيته.

والشَّدائد تقوى النفس، وتقوم الظهر، وتثبته، وتجعله صلباً في مواجهة تقلبات الدنيا، فإن صبر المرء فيها وتوكل على الله ربها، وأخذ بالأسباب، وداوم وصلاً بالرحمن الرحيم ذكراً ودعاً والتجاءً، مما يلبت أن يعود أقوى وأرسخ.

قال سبحانه : "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا
بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسِسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"

المسلم

المصادر: